بالحملة الانتخابية أيضا . ان الحزب الشيوعي الفرنسي يعترف بالحقوق القومية لشعب فلسطين ، وفي كثير من نشراته يعتبر المقاومة الفلسطينية حركة تحرر قومي ، ولـه مواقف اعلامية جيدة خاصة خلال حرب الفدائيين ضد نظام الملك حسين ، الا ان الحملة الانتخابية جعلته يختزل الخبر الى أقل حد ممكن ، فلم يظهر أي مقال في مجلاته التي تصل الى خمس عشرة ، واكتفى فقط بمساهمتين في جريدة الاومانيته ، أولهمـا يوم حادث اغتيال الرفيـق محمود حيث ذكر كاتب المقال بالطبيعة الارهابية للحركة الصهيونية (٧٢/١٢/١١) ثم وضع خبر وفاة الرفيق محمود في جريدته ١/١٠ ، مضمون الخبر كان جيدا فهو يشير بوضوح الى اهمال البوليس الفرنسي في متابعة التحقيق بل يلمح حتى الى التواطؤ بين البوليس الفرنسي والبوليس الاسرائيلي ، لكن الشكل الذي وضع فيه الخبر كان موحيا في الوقت نفسه ، فالخبر جاء في طرف الصفحة الثالثة وبايجاز ، أضف الى ذلك ان الحزب كحزب رفض الاشتراك في أمسية للدفاع عن القضية الفلسطينية وأشار الى امكانية اشتراك اتحاد الطلبة الشيوعيين . واذا أردنا تقصي اثر الانتخابات وانعكاسهـا على الحزب الشيوعـي أصبحت الصورة أكثر ايحاء ، ان عدم طرح قضية الرفيق الهمشري من قبل الحزب الشيوعي هـو موقف سياسي، موقف بزاعماتي انتخابي، أضف الى ذلك ان بيير جوكان أحد أعضاء اللجنة المركزية شارك في الندوة التـي عقدت حول (البرنامـج المشترك لليسار واليهود) في ١/١٦ وأعاد من جديد الى الاذهان ان الحزب الشيوعي يعتبر وجـود اسرائيل وجودا شرعيا، وأشار ايتيان فاجون رئيس تحرير الاومانيته في كلمة له في شمال فرنسا أنه يحق ليهود الاتحاد السوفياتي الهجرة الى فلسطين على شرط أن تترك اسرائيل الاراضي المحتلة (؟). ثم ان الحزب الشيوعي الفرنسي يبين موقفه في البرنامج المشترك الذي وقعه مع الحزب الاشتراكي والذي ينص على : الاعتراف بحق الوجود لكل دول المنطقة وخاصة اسرائيل ، مع التذكير (بحقوق قومية) للشعب الفلسطيني . ان التراجع هنا في موقف الحزب الشيوعي واضح تماما ، فهو لا يذكر اطلاقا اسم المقاومة الفلسطينية كحركة تحرر وطني ويستبدل الحقـوق القومية للشعب الفلسطينـي بحقوق قومية . ان اتصـالا مباشرا مع الحزب الشيوعي يظهر حقيقـة واحدة هي ان الحـزب الشيوعي لا يمكنه أن يطرح القضية الفلسطينية كما يريد الفلسطينيون لانه بذلك يغامر بقاعدته الشعبية العريضة (١/٢ مليون عضو وه ملايين نصير) ولانه لا يستطيع التصدي للقوة الصهيونية الفرنسية . مع هذا يبقى بتقديري الحزب الشيوعي هو القوة الهامة الوحيدة التي أعطت الخبر مضمونا سياسيا ولو كان ذا أبعاد مبتسرة .

ان تحليل ردود الفعل الفرنسية ازاء استشهاد الرفيق الهمشري قادنا الى اعطاء تحليل سريع للقوى السياسية الهامة ، ان هذه القوى هي التي تحرك رجل الشارع الفرنسي ، وان البحث عن ردود الفعل المباشرة أمر لا معنى له ، حيث ان الردود المباشرة كانت غائبة لذلـك فلفهم موقع الصورة الفلسطينية من الساحة الفرنسية يجب تحليـل الصمت الذي واكب استشهاد الرفيق الهمشري وأسباب هذا الصمت ودوافعه . اما مـا يتعلق بالصحف الفرنسية فقد كان هناك منحيان ، المنحى الاول الذي سلكته الصحافة الصهيونية (الفيجارو، فرانس سوار والاورور) التي حاولت توجيه الانظار نحو انفجار في (ارهابي فلسطيني) وهو يصنع متفجرات في بيته ، المنحى الاخر . وقد ضم غالبية الصحف بما فيها صحف معروفة بميولها الصهيونية (كالاكسبريس) وهو اظهـار الهمشري بصورة الانسان اللطيف ، الوديع ، الفلاح الساذج ، الانسان الذي يقوم بعمـل دعائي لقضيته بهدوء (نوفيل اوبزرفاتور ، كومبا ، اللوموند) ونلاحظ هنا أيضا تجنب أي تحليل سياسي للقضية بل يميل منطق هذه الصحف الى التقليل من أهمية الرفيق الشهيد ويعطي دقائق كثيرة من الانسانية المسيحية لا أكثر ، فهو لا يصل اطلاقا الى صلب القضية . يمكن ان نضيف هنا دور اليسـار الجديد الذي استخدم كل امكانياته المتواضعة للدفاع عن الرفيق الشهيد والتنديد بالفاشستية الصهيونية الامر الذي جعل غولدا ماير تترك فرنسا بشكل سريع نظرا لاعتبارات تتعلق بالامن على حـد قول التلفزيون الفرنسي . وكذلك جهود جمعية الصداقة العربية ـ الفرنسية .

ان كل هذه الصورة تظهر الظروف الصعبة التي كان يناضل فيها الرفيق الهمشري الذي اضاء شمعة للنضال الفلسطيني في بلد فيه للخيول الصهيونية مرتع رحيب .

فيصل دراج